المحاضرة السادسة: الاتجاه الوجودي والشخصاني

(عبد الرحمان بدوي ومحمد عزيز الحبابي)

أولا: الاتجاه الوجودي (عبدالرحمان بدوي)

الوجودية فلسفة إنسانية، ظهرت كردة فعل على التيارات المادية التي ظهرت في الفكر الغربي والتي تعاملت مع الإنسان بوصفه آلة، وسيلة أو غرضا، مهمتها الوصول إلى المعلومات عن طريق البحث العلمي، مستبعدة الجانب الجواني فيه، من روح ومشاعر ووجدان والعواطف وكل المكنونات الداخلية التي تختلج بها النفس الإنسانية. لذلك ظهرت الفلسفة الوجودية لتعطي لكل خلجات الانسان مكانها من الوجود الإنساني، بل وتعاملت مع هذه المكنونات بوصفها أس الوجود الفردي الإنساني.

كانت مهمة الفلسفة الوجودية تتحدد بمعرفة الوجود الفردي الإنساني، فكل إنسان له وجوده المتفرد الخاص وعلى هذا الإنسان الإنطلاق من مقولة أساسية في الفلسفة الوجودية هي أن "الوجود سابق على الماهية"، فأنا موجود ثم أخلق صفاتي وأعمالي.

1 ــ عبد الرحمن بدوي والفلسفة الوجودية

تأثر عبدالرحمان بدوي (1917 ـ 2002) في بداية حياته بفلسفة نتشه التي تُعد تمهيداً لبزوغ الفلسفة الوجودية وظهورها، وقد كان كتاب بدوي الأول بعنوان "نتشه"، ومن كتبه المميزة عن الفلسفة الوجودية والذي وضع فيه فلسفته الوجودية هو "الزمان الوجودي" وقبله كان كتابه "الموت والعبقرية" الذي كان في الأصل رسالته في الماجستير، وقد بين قيمة الفلسفة الوجودية في كتابه "دراسات في الفلسفة الوجودية". ولكن ما ميز وجوديته وجعلها أكثر وضوحاً هو كتابه: "الإنسانية والوجودية في الفكر العربي "، الذي حاول فيه الكشف عن نزوع الإنسان العربي وأصول نزعته التحررية في بلاد المشرق من خلال توظيفه لعلاقة التصوف بالوجودية أولاً، والكشف عن النزوع الوجودي في الشعر العربي ثانياً، والدين ببعده الأنسني، بوصفه تعبير فردي عن التجربة الروحية التي يبلورها الدين

ويجلي الروح فيها للكشف عن نزعتها الحسية والجمالية المتواشجة مع التجربة الذاتية الفردية التي تميل للعاطفة والرجوع إليها.

2 ــ صفات الإنسان الوجودي عند عبدالرحمان بدوي:حاول عبدالرحمان بدوي أن يقدم صفات للإنسان الوجودي والتي تتمثل في:

ـ يرى بدوي أن الإنسان الوجودي هو مالك الإرادة والمُعبر عنها بما يجب عنها بوصفه ذات إنسانية.

ـ الابتعاد عن الجانب الميتافيزيقي.

ـ أساس المعرفة العامة هو النور الطبيعي أعني العقل الإنساني.

ـ غزو الذات للموضوع بفرضها قيمة عليا واستخدامه كأداة لتحقيق إمكانيتها.

ـ معارضة الألوهية بالطبيعة بعد السيطرة عليها، فتكون هي مملكته بممارسة مملكة الألوهية.

ـ تمجيد الطبيعة، أي الإتصال الوثيق بالطبيعة لدرجة عشقها، وعبادة الطبيعة باعتقاد بدوي متأت من عبادة الإنسان لذاته بوصفه جزءً من الطبيعة.

ـ يمجد العقل ولكن ليس ذلك العقل المجرد الجاف، ولكن العقل الحيوي الذي يحيا بالعاطفة ويتكئ على الحس.

ـ النزعة الحسية الجمالية التي تميل الى الرجوع الى العاطفة وإستلهامها.

ثانيا: الاتجاه الشخصاني(محمد عزيز الحبابي)

1 ــ بناء المنظور الشخصاني للإنسان

لقد حاول محمد عزيز الحبابي(1922 ـ 1993) من خلال كتابه:"من الكائن إلى الشخص" أن يقدم تصوره لإشكالات الفلسفة الشخصانية سعيا منه إلى تطويرها. هذا الكتاب يشكل المرحلة الأولى من فكر الحبابي وهي الشخصانية الواقعية، والتي جعل محورها الأساسي حول مفهوم الشخص و

كيفية انتقال الإنسان من الكائن إلى الشخص" هذا الطريق الذي يبدأ من الكائن الذي يتعالى على نفسه وينفي ذاته ليتحول إلى شخص ثم إلى إنسان"

يرى الحبابي أن" الكائن الإنساني معطى خام يظهر و يصير كلما ازداد اتجاهه نحو الشخص ونحو الاندماج في مجتمع مع الآخرين، فهو باق "كائنا" خاما ما لم يظهر للآخرين، وبذلك نتوصل إلى معنى الارتباط وهو الذي يجعلنا في طريق التشخصن"، فالكائن إذن هو" المعطى الأول بالنسبة للإنسان وهو ما يكون قابلا لأن يصير شخصا بعد الاندماج في المجتمع" . هذا الانتقال من الكائن إلى الشخص يسمى عملية "التشخصن"، فبمجرد ما يبرز الكائن في هذا العالم، يشرع فورا في التشخصن، إلى حد لا يجوز معه القول إن له وجودا منعزلا عن ماهيته"، وهذه العملية تكون مصحوبة بالوعي بالذات من خلال الوعي بالعلاقة بالعالم وبالغير، ويؤكد الحبابي هذا بالقول:" يتكون الشعور، ثم يتفتح ويمتلئ، حين يندمج الكائن في الموجودات، وبعبارة أخرى حين يصبح شيئا أكثر من ذاته، أو حين يصبح شيئا غير ذاته فحسب ويتخذ موقفا من الغير. إذ هو لا يظهر للغير فحسب بل يظهر لذاته كذلك، ويصير موضوعا لشعوره، فالوعي دائما وعي لشيء وبشيء، وعي للذات ولحضور الأشياء ووجود الغير، ثم هو وعي الذات–مع حضور الآخرين– في عالم من الموضوعات والظاهرات"، وهنا يظهر البعد المجتمعي لعملية التشخصن" فالكائن يصير شخصا ضمن سيرورة علاقته بمحيطه المجتمعي، وهي سيرورة لا تتوقف اذ يجد الكائن نفسه مدفوعا باستمرار من تحول إلى آخر"، ولا تقف عملية التشخصن عند حدود الوعي(الشخص باعتباره ذاتا واعية لكيانها)، وإنما تتجاوزه إلى اعتبار مسألة الحرية مسألة مركزية في هاته العملية، ذلك أن الشخصانية الواقعية دافعت عن قيمة الحرية، حيث أنها اعتبرت الشخص" عماد الحرية فيه تكون وإليه تتجه، والغاية القصوى لعملية التشخصن أن يمارس الشخص حرياته"، والحرية في الفلسفة الشخصانية هي" عملية تحرر متواصلة، عملية تحرر تمكن البشر من أن يصبحوا أشخاصا قادرين على مواجهة مصيرهم، وهي ليست مجرد شعور داخلي يتأتى للأفراد في المستوى النفسي الخالص، إنها عملية تحرر تمكن الشخص من الانتصار على ذاته، وتمكنه أيضا من التلاؤم والتواصل والتكيف مع محيطه الاجتماعي"

2 ـ من الشخصانية الواقعية إلى الشخصانية الإسلامية.

يعد كتاب" الشخصانية الإسلامية" محاولة جادة من الحبابي تهدف" تجاوز أصول الشخصانية المسيحية والشخصانية ذات النزعة الفردية، من أجل بناء منظور شخصاني يتوخى استثمار بعض مكونات المرجعية الثقافية الإسلامية بهدف بلورة ما يُمَكنُ من محاورة الفلسفة الغربية، وإعادة إنتاج مفاهيمها في ضوء أسئلة الثقافة الإسلامية المعاصرة ومعطيات التراث الإسلامي".

بدأ الحبابي محاولته بالبحث عن أصل كلمة شخص في التراث الإسلامي من خلال ألفاظ تفيد نفس معناها، وقد" استخدمت كلمات أخرى للدلالة على هذا المفهوم أو على بعض جوانبه. ومن بين هذه الكلمات إلى جانب وجود جذر شخص: فرد، إنسان ثم كلمة وجه التي تدل على المظهر الخارجي للإنسان واستخدمت لتدل على الإنسان بكل كيانه وهو ما يجعلها تقترب من معنى شخص"، وهناك في التراث الإسلامي عدة تأكيدات" تثبت حضور مفهوم الشخص وحريته وكرامته، كما تثبت المساواة بين الأشخاص"، وهو ما يَظهر في الخطاب القرآني والنبوي، ف" الرسالة الإلهية إذ تخاطب المؤمنين وغير المؤمنين دونما فرق، تعترف لهؤلاء وأولئك بتساو نوعي. إنها تعترف لكل واحد بقيمة نوعية بصفته شخصا في ذاته، فليس هناك" أنا" وضيع و" أنا" رفيع، وإنما هي ذوات متساوية أمام الله والمجتمع"، و" إذا كان الإسلام يفرق بين المؤمن وغير المؤمن، وإذا كان يُفاضل بين الناس حسب تقواهم فإنهم بالنسبة إليه سواسية في الكرامة لأن لهم جميعا قابيلة الإيمان الديني".